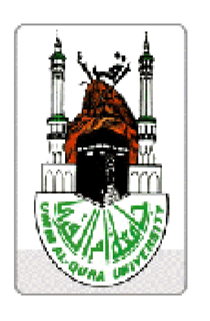
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



بحث في آية:

چ ۋ ۋ ې ې ٻ چ

مادّة نصوص عقدية لمرحلة الدكتوراه

إعـداد الطالب:

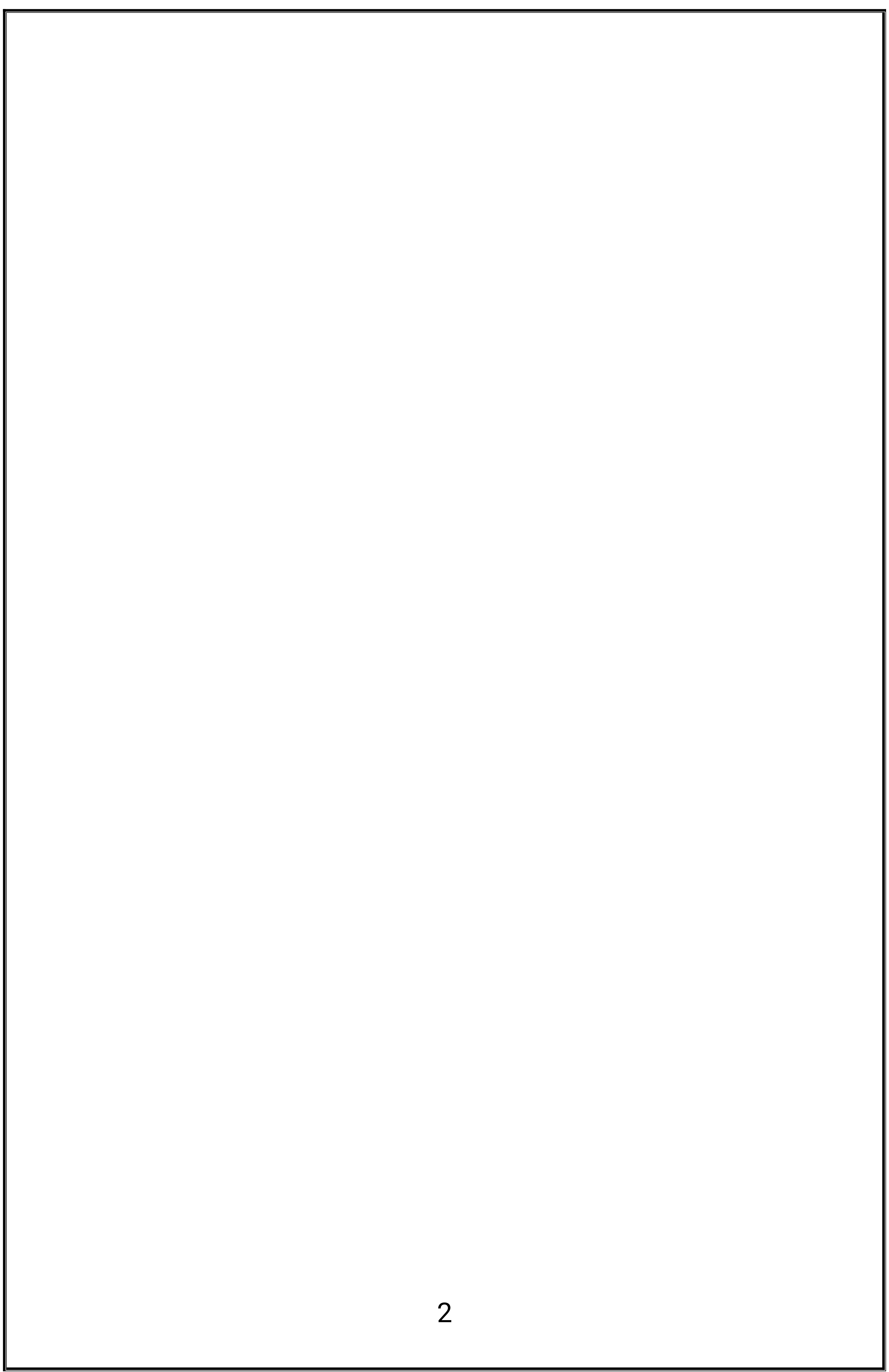
بدر بن محمد ناضرين

أستاذ المادة:

د. عبد الله بن عمر الدميجي

الفصل الدراسي الثاني
1428هـ - 1429هـ

الطبعة الثانية



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فضمن بحوث السنة المنهجية لمرحلة الدكتوراه بقسم العقيدة بجامعة أم القرى لمادة "نصوص عقدية" والتي يقوم بتدريسها صاحب الفضيلة الدكتور عبد الله الدميجي حفظه الله، فقد اخترت البحث في قوله تعالى: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ [المائدة: ١١٧] وهو ما يتعلق بمسألة وفاة نبي الله عيسى بن مريم .

حيث جاء ذكر وفاته عليه السلام في موضعين من القرآن الكريم:

في سورة آل عمران: ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ [آل عمران: 55]، وفي الآية التي معنا في سورة المائدة.

وحاصل البحث في المسألة هو بيان معنى الوفاة، هل هي: وفاة بمعنى الموت وانقضاء الأجل، أو أنها تُطلق على غير هذا المعنى؟ وهل هذه المسألة من قبيل التأويل أم لا ؟

ويتعلق بذلك مسائل: مسألة رفع عيسى ، وأنه رُفع ببدنه وروحه، فهو رفع خاص به، وأنه حي في السماء، وأنه سينزل آخر الزمان ثم يتوفاه الله.

وقد عد بعض أهل العلم مسألة وفاة عيسى من قبيل المشكل في القرآن[1]، وعدّوا إثبات وفاته بمعنى الموت حاوياً على محذور، إذ فيه معنى من موافقة عقيدة اليهود والنصارى في عيسى بأنه مات كما يموت غيره من الناس. وسيأتي بيان ذلك في البحث، إن شاء الله.

وقد جعلت خطة البحث على الترتيب التالي:

مقدمة.

تمهيد: معنى الوفاة ومعنى الموت في اللغة.

المطلب الأول: الأقوال في تفسير الآية.

المطلب الثاني: تحليل الأقوال ومناقشتها:

---

(1) ذكر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله- المسألة في كتابه "دفع إيهام الاضطراب في آيات الكتاب"، ونقل عنه في "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" دار الفكر. 1415هـ. (133/7) .

- القول بأن وفاة عيسى بمعنى النوم.
- القول بأن وفاة عيسى بمعنى القبض.
- القول بأن وفاة عيسى بمعنى موته بعد نزوله آخر الزمان.
- القول بأن وفاة عيسى بمعنى موته قبل رفعه.

الخاتمة.

الفهرس.

هذا، والله أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقني لما يحب ويرضى، إنه خير مأمول وأكرم مسئول، وأشكر مقدماً كل من أهدى إلي نصيحة أو تعليقاً أو ملحوظة، ورحم الله من أهدى إلي عيوبي.

وأشكر فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله الدميجي، أستاذ المادة، وأشكر زملائي في الدراسة في السنة المنهجية، على قراءة البحث، وإبداء الملحوظات والاستدراكات التي أفدت منها كثيراً، فجزى الله الجميع خيراً.

معنى الوفاة و الموت في اللغة

معنى الوفاة في اللغة:

يراد بالوفاة في اللغة: الموت، والمنية، وتُوُفـِّيَ فلان وتوَفّاه الله: إذا قَبَضَ نَفْسَه، أو قبض روحه، و توَفـِّي الـميتِ: اسْتـِيفاء مُدّتِه التـي وُفـِيتْ له، وعَدَد أيامِه وشُهوره وأَعْوامه فـي الدنـيا[2].

والوفاة: استخلاص الحق من حيث وضع، فالله نفخ الروح وأودع بها النفس ليستوفيها بعد أجل من حيث أودعها، فكان ذلك توفيا ً، والوفاة الموت، وأصله توفية الشيء، إذا أخذته كله[3].

وتطلق الوفاة أيضاً على استيفاء نفس النائم، كما جاء في قوله تعالى: ﭼ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭽ[الزمر: ٤٢] ((فتَوَفـِّي النائمِ: اسْتـِيفاء وقت عَقْله وتميـيزه إلـى أن نامَ))[4]. وفي التفريق بين وفاة النوم ووفاة الموت ((قال أبو إسحاق إبراهيم بن السري[5]: لكل إنسان نفسان، إحداهما: نفس التمييز، وهي التي تفارقه إذا نام، فيزايله عقله -يتوفاه الله تعالى- كما قال، والأخرى: نفس الحياة، التي إذا نام الإنسان تنفس بها وتحرك بقوتها. وإذا توفى الله تعالى نفس الحياة، توفى معها نفس التمييز. وإذا توفى نفس التمييز، لم يتوف معها نفس الحياة. وهو الفرق بين توفي نفس النائم وتوفي نفس الحي))[6].

معنى الموت في اللغة:

يطلق الموت لغة على عدة معانٍ [7]، فيطلق على الموت المعروف وهو

---

(2) انظر: "لسان العرب" محمد بن مكرم بن منظور (ت 711هـ) دار صادر. بيروت. ط1. (400/15)، وانظر: "مختار الصحاح" محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت 721هـ) نشر مكتبة لبنان. (1415هـ). تحقيق محمود خاطر. (ص 304).

(3) انظر: "التعاريف" محمد بن عبد الرؤوف المناوي (ت1031هـ) دار الفكر المعاصر. بيروت. ط1. (1410هـ) تحقيق: د.محمد رضوان الداية. (ص 730).

(4) تتمة النقل السابق عن "لسان العرب".

(5) هو الزجاج، النحوي، توفي سنة (311هـ)، انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء" محمد بن أحمد الذهبي. مؤسسة الرسالة. بيروت. (1413هـ). ط9. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي. (360/14).

(6) "الزاهر" لمحمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي. (ت 370هـ). نشر وزارة الأوقاف بالكويت. (1399هـ) ط1. تحقيق د.محمد بن جبر الأمين. وانظر: "لسان العرب" (235/6) وقال: (روي عن ابن عباس أنه قال: لكل إنسان نفسان إحداهما نفس العقل الذي يكون به التمييز والأخرى نفس الروح الذي به الحياة)، ولم أقف على هذا الأثر.

(7) انظر: "النهاية في غريب الأثر" أبو السعادات المبارك بن الجزري. (ت 606هـ). المكتبة العلمية.

ضد الحياة.

ويطلق على النوم، كما جاء في الدعاء: (الحمد لله الذي أحيانا بعدَ ما أماتنا وإليه النشور)[8] فسَمّى النّومَ مَوْتاً لأنه يزول معه العقلُ والحركةُ، تمثيلا ً وتشبيهاً لا تحقيقاً.

وأصل الموت في لغة العرب: السكون، يقال: ماتت الريح، إذا سكنت.

وقد يُسْتعارُ الموتُ للأحوالِ الشّاقّةِ كالفقرِ والذّلّ والسُّؤالِ والهَرَمِ و المعصيَةِ وغير ذلك، وللترهيب من أمر ما، كما جاء في الحديث: (الحمو الموت)[9].

ويتبين مما سبق، أن الوفاة تطلق ويراد بها الموت – ضد الحياة- وقد يراد بها النوم، كما يدل عليه قوله تعالى: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [الزمر: ٤٢]، كما أن الموت نفسه يطلق على النوم.

بيروت. (1399هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي. (369/4)، و"لسان العرب" (90/2) وما بعدها، و"مختار الصحاح" (ص266).

(8) أخرجه البخاري من حديث حذيفة بن اليمان (2326/5ح5953)، وأخرجه مسلم من حديث البراء (2083/4ح2711).

(9) متفق عليه من حديث عقبة بن عامر ، أخرجه البخاري (2005/5ح4934)، وأخرجه مسلم (1711/4ح2172).

المطلب الأول

ذكر الأقوال في تفسير الآية

لقد تعددت أقوال المفسرين في تفسير توفي الله لعيسى ، ويمكن إجمال الأقوال فيما يلي، بذكر طائفة من أقوال المفسرين، ثم ذكر حجج كل قول، ومناقشتها.

وقد جمع ابن جرير الطبري –رحمه الله – أصول الأقوال التي قيلت في تفسير الآية، وما لم يذكره يمكن إلحاقه ببعض ما ذكر. وهذا تلخيصها[10]:

القول الأول: أن توفي الله لعيسى في الآية: وفاة نوم، وتفسير الآية على هذا القول: إني منيمك ورافعك في نومك.

وروى ابن جرير هذا القول بإسناده عن الربيع[11].

القول الثاني: أن قوله سبحانه لعيسى : {إني متوفيك} بمعنى: إني قابضك من الأرض، فرافعك إلي. فمعنى الوفاة: القبض. كما يقال: ((توفيت من فلان ما لي عليه)) بمعنى: قبضته واستوفيته. قالوا: فمعنى قوله: {إني متوفيك ورافعك} أي: قابضك من الأرض حياً إلى جواري، وآخذك إلى ما عندي بغير موت.

وروى ابن جرير هذا القول بإسناده عن: مطر الوراق، والحسن، وابن جريج، وابن زيد.

القول الثالث: أن الوفاة هنا: وفاة موت.

وروى ابن جرير هذا القول بإسناده عن: ابن عباس ، وعن وهب بن منبه، وفيه: أنه ((توفاه ثلاث ساعات من نهار حتى رفعه إليه))، وابن إسحاق ، مخبراً عن النصارى.

القول الرابع: أن معنى قوله تعالى: {إني متوفيك ورافعك إلي}، أي: إني رافعك إلي، ثم متوفيك بعد إنزالي إياك إلى الدنيا، فيكون في الآية ذكر المؤخر قبل المقدم وعطفه عليه، والواو لا تفيد الترتيب.

وقد رجح ابن جرير –رحمه الله- القول الثاني، من الأقوال السابقة.

---

(10) انظر: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ). دار المعارف بمصر. ط2. تحقيق: محمود محمد شاكر، وخرج أحاديثه: أحمد محمد شاكر. (461-455/6).

(11) هو الربيع بن أنس – كما بينه القرطبي – والربيع بن أنس: بن زياد البكري الخراساني المروزي بصري، تابعي، وكان عالم مرو في زمانه، توفي سنة (139هـ). انظر: "الثقات" (228/4)، " تقريب التهذيب" (ص205 رقم 1882). "سير أعلام النبلاء" (6/169-170)، "مشاهير الأ مصار" (126/1).

فقال رحمه الله: ((وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك: إني قابضك من الأرض ورافعك إلي، لتواتر الأخبار عن رسول الله أنه قال: (ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث في الأرض مدة -ذكرها اختلفت الرواية في مبلغها- ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه ...))[12].

وقد ذكر النحاس – رحمه الله - ما أورده ابن جرير من أقوال، وذكر ترجيح ابن جرير للقول الثاني[13].

وكذلك الثعالبي ذكر الأقوال السابقة، بنحو ما عند ابن جرير الطبري، وقال بأنه ينبغي حمل ما ورد عن ابن عباس إما على قول الفراء – بأن في الآية تقديم وتأخير- وإما على قول وهب بن منبه – أنه سبحانه رفع عيسى بعد توفيه بساعات- واحتج على ذلك بثبوت الأخبار بأن عيسى حي في السماء، وأنه ينزل آخر الزمان، وحكى على ذلك الإجماع[14].

كما أورد البغوي –رحمه الله- القول الثاني في تفسير الوفاة، وقال: ((للتوفي تأويلان، أحدهما: إني رافعك إلى وافياً لم ينالوا منك شيئاً، من قولهم: توفيت كذا واستوفيته، إذا أخذته تاماً. والآخر: أني (متسلمك) من قولهم توفيت منه كذا أي تسلمته)). ثم ذكر القول الأول، و القول الثالث المروي عن ابن عباس وقال بأن له تأويلان، بنحو ما عند الثعالبي[15].

وذكر ابن الجوزي –رحمه الله - قولين من الأقوال السابقة في تفسيره للآية: القول الثاني، والقول الرابع[16]. وقال عن القول الثاني: ((هذا قول الحسن وابن جريج و ابن قتيبة واختاره الفراء)). وقال عن القول الرابع: ((هذا قول الفرّاء و الزجّاج)).

وذكر القرطبي –رحمه الله- الأقوال الأربعة في تفسيره[17]، ووافق ابن

---

(12) "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" (460-458/6)، ويأتي ذكر الخبر في نزول عيسى .

(13) انظر: "معاني القرآن الكريم". محمد بن أحمد النحاس. (ت 338هـ). نشر: جامعة أم القرى. ط1. (1409هـ). تحقيق: محمد علي الصابوني. (410-408/1).

(14) انظر: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن". عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت875 هـ). مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت. (272/1).

(15) انظر: "معالم التنزيل" الحسين بن مسعود البغوي. (ت 516هـ). تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة، سليمان مسلم الحرش، نشر: دار طيبة . ط4. (1417هـ) . (45/2).

(16) انظر: "زاد المسير" عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي . (ت 597هـ). المكتب الإسلامي . بيروت. (1404هـ) ط 3. (397-396/1).

(17) "الجامع لأحكام القرآن" أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي. (ت 671هـ). دار الشعب. القاهرة. (100-99/4).

جرير في نسبة الأقوال، في أكثر ما ذكر. ونسب القول الرابع إلى: الضحاك، و الفراء.

كما ذكر الأقوال الأربعة ابن كثير –رحمه الله- في تفسيره[18]، موافقاً نسبتها ما ذكره ابن جرير – في مجمله- وقد نسب القول الرابع إلى قتادة.

ويمكن إضافة قول خامس في تفسير الآية، وهو ما ذكره الزمخشري –رحمه الله- حيث قال: (({إني متوفيك} أي: مستوفي أجلك. معناه: إني عاصمك من أن يقتلك الكفار؛ ومؤخرك إلى أجل كتبته لك، ومميتك حتف أنفك، لا قتيلاً بأيدهم))[19] ثم ذكر الأقوال: الأول والثاني والرابع.

وبين الآلوسي – رحمه الله- أن الآية إما أن يؤول ذكر الوفاة فيها، أو يحمل على التقديم والتأخير، وإما أن تحمَل الوفاة على ظاهرها وهو الموت، وأطال في رد هذا، وقال إن المنبغي تأويل الوفاة إما على ما سبق ذكره من أقوال: النوم، القبض، استيفاء الأجل، وأضاف أقوالاً أخرى في تأويل الوفاة، وهي:

(6) أجعلك كالمتوفي، لأنه بالرفع يشبهه.

(7) أن المراد آخذك وافياً بروحك وبدنك فيكون {ورافعك إلى} كـالمفسر لما قبله.

(8) أن المراد بالوفاة موت القوى الشهوانية العائقة عن إيصاله بـالملكوت.

(9) أن المراد مستقبل عملك.

ثم قال: ((ولا يخلوا أكثر هذه الأوجه عن بعد لا سيما الأخير))[20].

وستأتي مناقشة مسألة ظاهر معنى الوفاة في الآية، إذ لا ينحصر الأمر فيما ذكره الآلوسي – رحمه الله- فإن إطلاق الوفاة على النوم يمكن اعتباره معنىً ظاهراً للآية، لوروده في آية أخرى.

وما وقفت عليه من كتب التفسير لا يخرج عما سبق ذكره من أقوال في تفسير الآية[21]، وفيما يلي مناقشتها.

---

(18) "تفسير القرآن العظيم" إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. (ت 774هـ). دار الفكر. بيروت. (1401هـ). (367/1).

(19) انظر: "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت. (394/1).

(20) انظر: "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" محمود الألوسي (ت1270هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت. (179/3).

(21) انظر: - "تفسير مقاتل بن سليمان" لمقاتل بن سليمان الأزدي. (ت 150هـ). دار الكتب العلمية.

(172/1).

- "تفسير القرآن" عبد الرزاق بن همام الصنعاني. (ت 211هـ). مكتبة الرشد. (122/1).
- "بحر العلوم" نصر بن محمد السمرقندي. (ت367هـ). دار الفكر. (300/1).
- "تفسير القرآن العزيز" لأبي عبد الله بن أبي زمنين. (ت 399هـ). دار الفاروق الحديثة.
- "تفسير السلمي" محمد بن الحسين السلمي. (ت 412هـ). دار الكتب العلمية. (101/1).
- "تفسير الثعلبي" أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري. (ت 427هـ). دار إحياء التراث العربي. (3/80-83).
- "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت 546هـ). دار الكتب العلمية. (444/1).
- "مفاتح الغيب" محمد بن عمر الرازي (ت 604هـ). دار الكتب العلمية. (60/8) .
- "الجامع لأحكام القرآن" محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. (ت 671هـ). دار الشعب. (100/4).
- "تفسير البحر المحيط" محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت745هـ). دار الكتب العلمية. (493/2).

المطلب الثاني

تحليل الأقوال ومناقشتها

تبين من خلال ذكر الأقوال السابقة أنها على أحد مسلكين: إما أن تُحمل الوفاة على الموت، وهو الموت، وإما أن تُحمل على غيره، من القبض أو النوم ...

وإذا كانت الوفاة بمعنى الموت، فإما أن يكون المعنى: إثبات موت عيسى قبل رفعه، أو يُقال بأن في الآية تقديم وتأخير، فيكون في الآية إثبات موته بعد نزوله آخر الزمان.

والقول بإثبات وفاة عيسى قبل رفعه، هو محل النقاش والبحث، وهو ما تناوله أهل العلم على مر العصور بالنقد.

أما الأقوال الأخرى عند التأمل فإنها تتفق فيما تؤول إليه، ولا إشكال في قبولها، إلا البحث في مسألة ظاهر الآية وتأويلها، كما سيأتي ذكره.

القول بأن وفاة عيسى بمعنى النوم:

روى ابن جرير هذا القول عن الربيع بن أنس[22]، قال: ((حدثني المثنى[23]، قال ثنا إسحاق[24]، قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر[25] عن أبيه[26] عن الربيع في قوله إني متوفيك قال يعني وفاة المنام رفعه الله في منامه)).

وقد نسب ابن كثير هذا التفسير إلى الحسن البصري وعزاه إلى ابن أبي حاتم، بإسناد يوافق هذا.

قال ابن كثير: ((وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن[27]، حدثنا عبد الله ابن أبي جعفر، عن أبيه حدثنا الربيع بن أنس، عن

---

(22) تابعي تقدم تعريفه (ص11).

(23) المثنى بن إبراهيم الآملي الطبري، لم أقف له على ترجمة، وقد قال ابن حجر عن إسناد فيه المثنى بن إبراهيم عن شيخه إسحاق بن الحجاج: "وهذا إسناد أصح من الذي قبله". "تغليق التعليق" (299/4). وانظر: تخريج الحديث (186) من تفسير ابن جرير.

(24) هو: إسحاق بن الحجاج الطاحوني المقرئ، انظر ترجمته في "الجرح والتعديل" (217/2)، وانظر: تخريج الأثر رقم (230)، (243) من تفسير ابن جرير، والأخير بنفس الإسناد هنا.

(25) عبد الله بن أبي جعفر الرازي البصري: وُثق، وفيه كلام، وروايته عن أبيه متكلم فيها. انظر: "معرفة الثقات" (24/2)، "الكامل في الضعفاء" (216/4)، "تهذيب التهذيب" (154/5).

(26) عيسى بن ماهان الرازي: قال عنه في "التقريب" (ص629/ رقم 8019): صدوق. انظر ترجمته: "الضعفاء الكبير" (388/3)، "الجرح والتعديل" (280/6)، "المجروحين" (120/2)، "الكامل في الضعفاء" (254/5).

(27) أحمد بن عبد الرحمن الدَشْتُكي، قال عنه في "التقريب" (ص81/رقم 66): صدوق، انظر

الحسن أنه قال في قوله تعالى {إني متوفيك}، يعني: وفاة المنام، رفعه الله في منامه))[28].

وهذا الإسناد عن الحسن البصري: حسن.

وقد جاء بهذا الإسناد عن الحسن عن النبي مرسلا ً عند أبن أبي حاتم:

قال ابن أبي حاتم: «حدثنا أبي، ثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي، ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس عن الحسن قال: قال رسول الله لليهود: (إن عيسى لم يمت، وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة) »[29].

وهذا الخبر المرسل – وإن كان المرسل ضعيفاً من جهة ثبوته – إلا أن هذا صحيح المعنى موافق لما هو معلوم من الأدلة الأخرى التي جاءت بخصوص عيسى .

وقد رجح تأويل الوفاة بالنوم ابن كثير في تفسيره، فقال: ((وقال الأكثرون: المراد بالوفاة هاهنا: النوم، كما قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭼ[الأنعام: ٦٠] الآية، وقال تعالى: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ[الزمر: ٤٢] الآية، وكان رسول الله يقول إذا قام من النوم: (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور)[30] ...)) اهـ[31].

القول بأن وفاة عيسى بمعنى القبض:

يلاحظ أن القول بأن الوفاة بمعنى النوم يتفق مع هذا القول، حيث يَستدل من رجح تفسير الوفاة بالنوم بما جاء من ذكر رفع عيسى . فالقولان متفقان، غير أن في الأول زيادة ذكر النوم، وناتج القولين واحد: أن الله رفع عيسى وأنجاه من مكر اليهود.

قال ابن كثير –رحمه الله- في تتمة كلامه على ترجيح القول بتفسير الوفاة بالنوم: ((وقال تعالى: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ[النساء: ١٥٦ – ١٥٩] والضمير في قوله: {قبل موته} عائد على عيسى ، أي: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم

ترجمته: "الكاشف" (158/1).

(28) "تفسير القرآن العظيم" (376/1)، ولم أقف على الأثر في تفسير ابن أبي حاتم.

(29) "تفسير ابن أبي حاتم" (1110/4/ح6232)، وهذا إسناد حسن.

(30) تقدم تخريجه (ص5).

(31) "تفسير القرآن العظيم" (376/1).

القيامة، على ما سيأتي بيانه، فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلهم لأنه يضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام ...)).

ومن أصح الأخبار في ذكر نزول عيسى الحديث المتفق عليه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله : (والذي نفسي بيده! ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما ً عدلا ً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا ً من الدنيا وما فيها. ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم {وإن من أهل الكتاب إ لا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا})[32].

وجاء بيان وقت نزوله في الحديث الصحيح، عن أبي هريرة أن رسول الله قال: (لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا ق الت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا والله، لا نخلي بينكم وبين إخواننا. فيقاتلونهم، فينهزم ثلث ٌ لا يتوب الله عليهم أبدا ً، وي ُقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث، لا يفتنون أبدا ً، فيفتتحون قسطنطينية. فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم! فيخرجون -وذلك باطل- فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فأمهم ...)[33].

وقد أشار بعض العلماء إلى الحكمة من نزول عيسى دون غيره من الأ نبياء، قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله- : ((قال العلماء: الحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء: الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه، فبين الله تعالى كذبهم، وأنه الذي يقتلهم. أو نزوله لدنو أجله ليدفن في الأرض؛ إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها. وقيل: إنه دعا الله لما رأى صفة محمد وأمته أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه، وأبقاه حتى ينزل في آخر الزمان مجد ِدا ً لأمر الإسلام، فيوافق خروج الدجال فيقتله. والأ ول أوجه))[34].

وقد صح أن مدة مكث عيسى بعد نزوله سبع سنين، كما جاء عند مسلم عن عبد الله ابن عمرو مرفوعاً، في خبر الدجال: (فيبعث الله عيسى

---

(32) متفق عليه من حديث أبي هريرة ، أخرجه البخاري (1272/3/ح3264)، ومسلم (35/1/ح 155)، دون قول أبي هريرة. وانظر الأحاديث في نزول عيسى في تفسير ابن كثير (579/1) عند تفسير قوله تعالى: { وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته}.
(33) صحيح مسلم (2221/4/ح2897).
(34) "فتح الباري" (493/6).

بن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين، ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ...)[35].

وجاء أن مدة مكثه أربعين سنة، كما في الحديث الصحيح عن أبي هريرة أن النبي قال: (الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجلا ً مربوعا ً إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام، فيـ ُهلك الله في زمانه الملل كلها إ لا الإسلام، ويـ ُهلك الله في زمانه المسيح الدجال، وتقع الآمنة على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون)[36].

وفي الجمع بين المدتين المذكورتين، قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – ((وقد تقدم في حديث عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة أن عيسى عليه السلام يمكث في الأرض بعد نزوله أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون وفي حديث عبد الله بن عمر عند مسلم أنه يمكث سبع سنين فيحتمل والله أعلم أن يكون المراد بلبثه في الأرض أربعين سنة: مجموع إقامته فيها، قبل رفعه وبعد نزوله، فإنه رُفع وله ثلاث وثلاثون سنة، في الصحيح، وقد ورد ذلك في حديث صفة أهل الجنة أنه على صورة آدم وميلا د عيسى ثلاث وثلاثون سنة))[37].

ومما يُذكر هنا أن بعض المعاصرين قد أنكر رفع عيسى ببدنه، كما أنكر نزوله آخر الزمان، وردوا الأحاديث بحجة أنها أخبار آحاد![38]

قال النووي – رحمه الله- ((قال القاضي -رحمه الله تعالى- : نزول عيسى وقتله الدجال، حق وصحيح عند أهل السنة، للأحاديث الصحيحة ف

(35) "صحيح مسلم" (2258/4/ح2940).

(36) أخرجه أحمد (406/2/ح9259)، وأبو داود (117/4/ح4324)، والحاكم وصححه (651/2/ح4163)، وابن حبان في صحيحه (233/15/ح6821). وصححه ابن حجر في "فتح الباري" (493/6)، والألباني في تعليقه على سنن أبي داود، وشعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد.

(37) "تفسير القرآن العظيم" (584/1).

(38) للشيخ محمد عبده كلام في هذا في "تفسير المنار" (316/3-317) وكذا الشيخ محمود شلتوت في "الفتاوى" (59-82)، حيث أنكرا رفع عيسى ببدنه، وأنكرا نزوله آخر الزمان، انظر: "جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف" عبد العزيز بن صالح الطويان. نشر مكتبة العبيكان. ط1. (450/2).

ي ذلك، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله، فوجب إثباته. وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم، وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى: {وخاتم النبيين} وبقوله : (لا نبي بعدي) وبإجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة لا تنسخ. وهذا استدلال فاسد! لأنه ليس المراد بنزول عيسى أنه ينزل نبيا ً بشرع ينسخ شرعنا، ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا، بل صحت هذه الأحاديث هنا، وما سبق في كتاب الايمان وغيرها، أنه ينزل حكما ً مقسطا ً، بحكم شرعنا، ويحيى من أمور شرعنا ما هجره الناس))[39].

ويلاحظ أن الأقوال الأخرى في توفي الله لعيسى، نحو القول بأن الوفاة من استيفاء الأجل، والتي مفادها: نفي موت عيسى وإثبات رفعه، تتفق مع القولين السابقين، وتشهد اللغة بقبولها، مع موافقتها للنصوص الواردة بخصوص عيسى ، وللنصوص العامة.

القول بأن وفاة عيسى بمعنى موته بعد نزوله آخر الزمان:

يتفق هذا القول مع ما قبله من جهة إنكار وفاة عيسى قبل رفعه، ولكن يشكل على هذا القول سياق الآيتين اللتين ذكر بهما وفاة عيسى .

آية آل عمران:

يفيد سياق الآية أن الوفاة المذكورة ليست تلك التي تكون بعد نزول عيسى آخر الزمان، إذ يقول تعالى: ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ[آل عمران: ٥٤ – ٥٥]

فقوله تعالى: {ومكروا} المراد به اليهود الذين كذبوا عيسى وأرادوا قتله[40]، ولكن مقابل مكرهم: {مكر الله والله خير الماكرين}.

فكأن سائلا ً سأل، لما قرأ قوله تعالى: {ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين}: متى كان هذا؟

فيأتيه البيان: {إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ...}، فهذا يفسر ما قبله من ذكر مكر الله مقابل مكرهم.

ومن حيث اللغة، فإن استعمال الواو في المعية والمصاحبة أكثر، وفي تقدم ما قبلها كثير، وفي تأخره قليل[41].

(39) "شرح النووي على مسلم" (76-75/18).
(40) يتفق المفسرون على هذا.
(41) انظر: "ضياء السالك إلى أوضح المسالك" محمد عبد العزيز النجار. مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة. (182/3) ، و"شرح قطر الندى وبل الصدى" ومعه "سبيل الهدى بتحقيق شرح

والواو تفيد الترتيب، لما يفهم من دليل آخر، أو لوجود قرينة صحيحة، مثل قوله تعالى: ﭽﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ[الزلزلة: ١ – ٣]، ومثل قوله تعالى: ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐﭼ [يوسف: ٢٥].[42]

والقول بإفادة الواو الترتيب في آية آل عمران قوي، يدل عليه سياق الآية: {إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة} كل هذه جاءت معطوفة بالواو، وجاء بعدها: {ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون} مما يُعد قرينة على إفادة الواو الترتيب مع التعاقب، بخلاف "ثم" التي أفادت الترتيب مع التراخي.

ومما يبين إفادة الواو للترتيب في الآية، أنه جاء فيها قوله تعالى: {وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة}، وهذا كان بعد رفع عيسى ، وليس بعد نزوله آخر الزمان وموته، فإنه قد جاء في الحديث في خبر نزوله: (فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام)[43]، وبعد موته : (يبعث الله ريحاً كريح المسك مسها مس الحرير فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة)[44].

فهذا يبين أن التدافع بين المؤمنين والكافرين في شأن عيسى وقع بعد رفعه، وليس بعد موته آخر الزمان، والعلم عند الله.

آية سورة المائدة:

يقول الله لعيسى يوم القيامة: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ[المائدة: ١١٦ – ١١٧].

فسياق الآية يدل على أن الوفاة المذكورة كانت أيام حياته الأولى في الدنيا قبل رفعه، فإنه كان يبلغ للناس ما أمره الله بتبليغه، أن يعبدوا الله ربه وربهم، وهذا الوصف يصدق على حاله قبل رفعه، أبلغ مما يصدق على حاله عند نزوله آخر الزمان، فإنه لا ينزل برسالة يؤمر بتبليغها، وإنما ينزل متبعاً لشريعة محمد ويحكم بها، فهو من أمة محمد [45].

قطر الندى" محمد محيى الدين عبد الحميد. المكتبة الفيصلية. مكة المكرمة.(ص428).

(42) انظر: السابق.

(43) حديث صحيح، تقدم تخريجه (ص14).

(44) أخرجه مسلم: صحيح مسلم (3/ 1524/ح1942).

(45) قال الحافظ ابن حجر: ((عيسى يحكم بشريعته فيكون من أمته)). "فتح الباري" (75/2).

، أنه كان شهيداً على الناس لما كان معهم وجاء في الآية إخبار عيسى فلما توفاه الله كان سبحانه الرقيب عليهم، ولا يتفق هذا مع ما يكون في آخر الزمان، فإن ما وقع من افتتان الناس بعيسى كان بعد رفعه، ولا يكون هذا بعد موته في آخر الزمان.

يدل على هذا قوله تعالى: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [النساء: ١٥٩].

قال ابن كثير – رحمه الله - : ((قال ابن جرير: ((وأولى هذه الأوقال بـ الصحة القول الأول، وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى إلا آمن به قبل موت عيسى)) ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح؛ لأنه المقصود من سياق الآي، في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة لذلك)) [46].

فيتبين من هذا ضعف القول بأن في آية آل عمران تقديم وتأخير، بمعنى أن المراد بوفاة عيسى موته آخر الزمان.

القول بأن وفاة عيسى بمعنى الموت قبل رفعه:

هذا القول مروي عن عبد الله بن عباس ، ومروي عن وهب بن منبه، وعن محمد بن إسحاق.

الرواية عن عبد الله بن عباس :

أخرجها ابن جرير في تفسيره، قال: حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح[47]، قال: حدثني معاوية[48]، عن علي[49]، عن ابن عباس، قوله: {إني متوفيك}، يقول: إني مميتك.

وهذا الإسناد لا يصح عن ابن عباس ؛ لأن علي بن أبي طلحة لم يلق ابن عباس، ولم يرو عنه التفسير.

((قال دحيم لم يسمع التفسير من بن عباس))[50].

((وسئل صالح بن محمد عن علي بن أبي طلحة ممن سمع التفسير قال من لا أحد))[51].

---

(46) "تفسير القرآن العظيم" (578/1)، والنقل عن تفسير ابن جرير (386/9).
(47) هو عبد الله بن صالح المصري، كاتب الليث، وهو ثقة. انظر: تخريج الحديث (186) من تفسير ابن جرير.
(48) هو معاوية بن صالح الحمصي، ثقة. انظر: تخريج الحديث (186) من تفسير ابن جرير.
(49) هو: ابن أبي طلحة ، انظر: الأثر رقم (286).
(50) "جامع التحصيل" (1 /ص 240).
(51) انظر: "تاريخ بغداد" (11 /ص 428).

وقال ابن حجر : ((أرسل عن ابن عباس ولم يره))[52].

وقد ضعفه أحمد بن حنبل[53].

وبنفس الإسناد، وبنفس العلة، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره[54].

فيتبين من هذا عدم ثبوت هذا التفسير عن ابن عباس .

الرواية عن وهب بن منبه:

أخرجها ابن جرير، قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، **عمن لا يتهم**، عن وهب بن منبه اليماني أنه قال: توفى الله عيسى بن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه إليه.

وهذا إسناد منقطع، وبنحوه أخرجه ابن أبي حاتم[55].

وذكر السيوطي رواية أخرى عن وهب، قال: ((وأخرج ابن عساكر عن وهب قال: أماته الله ثلاثة أيام ثم بعثه ورفعه))[56].

وأخرج الحاكم بإسناده عن وهب بن منبه ، قال : ((توفى الله عيسى ابن مريم ثلاث ساعات من نهار حين رفعه إليه والنصارى تزعم أنه توفاه سبع ساعات من النهار ، ثم أحياه))[57].

وهذه الأخبار التي وردت عن وهب بن منبه – وهو من التابعين[58]- لا سبيل إلى الأخذ بها إلا فيما لو كانت مسندة مرفوعة، وإلا فالظن بها أنها من أخبار أهل الكتاب، كما مر التصريح بهذا في بعضها، فليست هذه الأخبار مما يُحتج به[59].

الرواية عن محمد بن إسحاق:

أخرجها ابن جرير في تفسير، قال: ((حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: والنصارى يزعمون أنه توفاه سبع ساعات من النهار ثم

---

(52) "تقريب التهذيب" (ص202/ رقم 4754).

(53) انظر: "الضعفاء الكبير" (234/3)، "الكاشف" (41/2).

(54) "تفسير ابن أبي حاتم". عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي. (ت 327هـ). المكتبة العصرية. صيدا. تحقيق: أسعد محمد الطيب. (661/2/ح 3580).

(55) "تفسير ابن أبي حاتم" (661/2/ح 3581).

(56) "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" جلال الدين السيوطي. دار الفكر. بيروت. (1993). (225/2)، ولم أقف على هذه الرواية.

(57) "المستدرك على الصحيحين" (651/2/ح 4164).

(58) انظر في ترجمته: "التاريخ الكبير" (164/8)، "معرفة الثقات" (345/2)، "تقريب التهذيب" (ص585/ رقم 7485).

(59) انظر: "فتح المغيث" أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن السخاوي. مكتبة نزار مصطفى الباز.ط 2 (223-245/1).

أحياه اللّه)).

وهذا الخبر عن النصارى، كما ترى.

فتبين أن القول بتفسير توفي اللّه لعيسى أنه الموت: لا يثبت عن ابن عباس، وليس له من مستند يُعتمد عليه، وإنما صُرح فيه أنه من قول النصارى.

ومن أقوى الأوجه في نقد هذا القول، ما ذكره ابن جرير –رحمه اللّه حيث قال: ((ومعلوم أنه لو كان قد أماته اللّه عز وجل لم يكن بالذي يميته ميتة أخرى فيجمع عليه ميتتين لأن اللّه عز وجل إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم ثم يحييهم ...))[60].

يؤيد هذا مرسل الحسن البصري عن النبي بشأن عيسى وأنه: (حي لم يمت، وأنه سيرجع ...)[61].

وقد انتقد بعض أهل العلم القول بأن وفاة عيسى تعني الموت، وردوه من جهة شبهه بقول النصارى، ولا شك أن من أهم ركائز عقيدة النصارى المحرفة إثبات صلب المسيح عليه السلام، تخليصاً للبشرية من الخطيئة الأ ولى، وأن الرب فدى الناس بابنه ليموت على الصليب، ولذلك عظموا الصليب وجعلوه شعار دينهم وانتسبوا إليه، وكان حقه أن يبغضوه، لو كانوا يعقلون.

لكن قد جاء في بعض كتب النصارى – وإن لم تكن معتمدة عندهم – ما ينفي هذا الزعم، ويوافق تقرير القرآن لنفي قتل المسيح وصلبه، وإثبات إلقاء شبهه على غيره[62].

قال الآلوسي –رحمه اللّه- : (({فلما توفيتني} أي: قبضتني بالرفع إلى السماء، كما يقال: توفيت المال، إذا قبضته. وروي هذا عن الحسن وعليه الجمهور. وعن الجبائي: أن المعنى: أمتـ ـّني. واد ـّعى أن رفعه عليه السلام إلى السماء كان بعد موته، وإليه ذهب النصارى ...))[63].

وقال الآلوسي: ((وحكاية أن اللّه تعالى توفاه سبع ساعات، ذكر ابن إسحق أنها من زعم النصارى، ولهم في هذا المقام كلام تقشعر منه الجلود، ويزعمون أنه في الإنجيل، وحاشا اللّه، ما هو إلا افتراء وبهتان عظيم. ولا

---

(60) "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" (460-458/6).

(61) تقدم تخريجه (ص11).

(62) انظر: "التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة" الدكتورة سارة بنت حامد العبادي. مكتبة الرشد. ط2. (1426هـ). (ص201-202) عند الحديث عن إنجيل برنابا، وما جاء فيه مبيناً تحريف الأناجيل الأخرى في أمر صلب المسيح عليه السلام.

(63) "روح المعاني" (69/7).

بأس بنقله ورده، فإن في ذلك رد دعواهم فيه عليه السلام الربوبية ...))[64].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- : ((فإن قيل: إن كثيراً ممن لا تحقيق عندهم يزعمون أن عيسى قد توفي، ويعتقدون مثل ما يعتقده ضلال اليهود والنصارى، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ [آل عمران: 55]، وقوله: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ [المائدة: ١١٧]. فالجواب: أنه لا دلالة في إحدى الآيتين البتة على أن عيسى قد توفي فعلاً ...))[65].

وقد أجاب الشيخ محمد الأمين على نفي كون وفاة عيسى بمعنى الموت، من سبعة أوجه، اختصرها فيما يلي:

الوجه الأول: أن قوله {مُتَوَفّيكَ} حقيقة لغوية في أخذ الشيء كاملاً غير ناقص، والعرب تقول: توفى فلان دينه يتوفاه فهو متوف له، إذا قبضه وحازه إليه كاملاً من غير نقص.

فمعنى {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ} في الوضع اللغوي أي: حائزك إلي كاملاً بروحك وجسمك))[66].

ثم فصل الشيخ القول في مسألة اختلاف الحقيقة اللغوية مع الحقيقة العرفية، فقال:

((ولكن الحقيقة العرفية خصصت التوفي المذكور بقبض الروح دون الجسم، ونحو هذا مما دار بين الحقيقة اللغوية العرفية فيه لعلماء الأصول ثلاثة مذاهب:

الأول: هو تقديم الحقيقة العرفية وتخصيص عموم الحقيقة اللغوية بها.

وهذا هو المقرر في أصول الشافعي وأحمد وهو المقرر في أصول مالك إلا أنهم في الفروع ربما لم يعتمدوه في بعض المسائل...

المذهب الثاني: هو تقديم الحقيقة اللغوية على العرفية، بناء على أن العرفية -وإن ترجحت بعرف الاستعمال- فإن اللغوية مترجحة بأصل الوضع.

وهذا القول مذهب أبي حنيفة رحمه الله .

المذهب الثالث: أنه لا تقدم العرفية على اللغوية ولا اللغوية على

---

(64) "روح المعاني" (179/3)، ثم نقل نقلاً طويلاً عن إنجيل النصارى.

(65) "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" دار الفكر. 1415هـ. (133/7). وقد ذكر مؤلفه المسألة في كتابه: "دفع إيهام الاضطراب في آيات الكتاب" ونقل عنه في أضواء البيان (133/7).

(66) "أضواء البيان" (131/7).

العرفية، بل يحكم باستوائهما، ومعادلة الاحتمالين فيهما، فيحكم على اللفظ بأنه مجمل لاحتمال هذه واحتمال تلك.

وهذا اختيار ابن السبكي ومن وافقه ...

وإذا علمت هذا فاعلم أنه على المذهب الأول – الذي هو تقديم الحقيقة اللغوية على العرفية- فإن قوله تعالى {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ} لا يدل إلا على أنه قبضه إليه بروحه وجسمه، ولا يدل على الموت أصلا ً، كما أن توفي الغريم لدينه لا يدل على موت دينه.

وأما على المذهب الثاني - وهو تقديم الحقيقة العرفية على اللغوية- فإن لفظ التوفي حينئذ ٍ يدل في الجملة على الموت. ولكن سترى إن شاء اللهّ أنه وإن دل على ذلك في الجملة لا يدل على أن عيسى قد توفي فعلا ً ...))[67].

الوجه الثاني: أن {مُتَوَفّيكَ} وصف محتمل للحال والاستقبال والماضي، ولا دليل في الآية على أن ذلك التوفي قد وقع ومضى، بل السنة المتواترة و القرآن دالان على خلاف ذلك.

الوجه الثالث: أن عطفه {ورافعك إلى} على قوله {متوفيك} فلا دليل فيه [على تقدم الوفاة] لإطباق جمهور أهل اللسان العربي على أن الواو لا تقتضي الترتيب ولا الجمع وإنما تقتضي مطلق التشريك ...[68]

الوجه الرابع: أنه تـ َوفي نوم، وقد ذكرنا الآيات الدالة على أن النوم يطلق عليه الوفاة، فكل من النوم والموت يصدق عليه اسم التوفي، وهما مشتركان في الاستعمال العرفي.

الوجه الخامس: أن قوله تعالى {فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى} لا يدل على سبق وفاة عيسى؛ فإنه يقول ذلك يوم القيامة، ولا شك أن يموت قبل يوم القيامة، فإخباره يوم القيامة بموته لا يدل على أنه الآن قد مات.

الوجه السادس: أن ظاهر الآية – آية المائدة- أنه توفي رَفْع ٍ وقَبْض للروح والجسد، لا توفي موت.

ويوضح ذلك مقابلة التوفي بالديمومة فيهم، في قوله: {وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمّا تَوَفّيْتَنِى} فلو كان توفي موت لقال: ((ما دمت حياً، فلما توفيتني)) لأن الذي يقابل بالموت هو الحياة، كما في قوله: {وَأَوْصَانِى بِالصّلَواةِ وَالزّكَواةِ مَا دُمْتُ حَيّاً}.

---

(67) السابق (7/132-133).

(68) أشرت (ص16) إلى أن الواو تفيد المصاحبة وهو الأكثر، وتفيد الترتيب وهو كثير.

أما التوفي المقابل بالديمومة فيهم فالظاهر أنه توفي انتقال عنهم إلى موضع آخر .

الوجه السابع: أن الذين زعموا أن عيسى قد مات، قالوا: إنه لا سبب لذلك الموت إلا أن اليهود قتلوه وصلبوه، فإذا تحقق نفي هذا السبب وقطعهم أنه لم يمت بسبب غيره تحققنا أنه لم يمت أصلا ً. وذلك السبب الذي زعموه منفي يقينا ً بلا شك؛ لأن الله جل وعلا قال: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ} وقال تعالى: {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ}.

وضمير رفعه ظاهر في رفع الجسم والروح معاً كما لا يخفى...

والحاصل أن القرآن العظيم على التفسير الصحيح والسنة المتواترة عن النبي كلاهما دال على أن عيسى حي، وأنه سينزل في آخر الزمان، وأن نزوله من علامات الساعة[69]، وأن معتمد الذين زعموا أنهم قتلوه ومن تبعهم هو إلقاء شبهه على غيره واعتقادهم الكاذب أن ذلك المقتول الذي شبه بعيسى هو عيسى...))[70].

ويضاف وجه ثامن في تضعيف القول بأن وفاة عيسى بمعنى موته، وهو ما ذكره ابن جرير الطبري – رحمه الله- من أن هذا يستلزم أن الله توفى عيسى ثم أحياه، ثم بعد نزوله آخر الزمان يتوفاه، ثم يحييه، وهذا خلاف ما أخبر الله به عن عباده.

ويظهر من تفصيل جواب الشيخ محمد الأمين – رحمه الله- رجحان القول بأن وفاة عيسى لا تعني موته، وأن تفسير الوفاة بالنوم أو القبض ليس من تقديم التأويل على الظاهر، بل هذا هو ظاهر الآية، وقد جاء في الآية الأخرى إطلاق الوفاة على النوم: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ[الزمر: ٤٢].

أو يُقال: هذا معنى احتفت به القرائن الصحيحة، في مقابل المعنى الظاهر الذي دلت الأدلة الظاهرة المتكاثرة على خلافه.

ويناسب هنا أن أورد ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية عن أبي الحسن الكرجي الشافعي[71] بخصوص تأويل السلف:

قال أبو الحسن الكرجي الشافعي: ((فإن قيل: فقد منعتم من التأويل،

---

(69) ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى عن عيسى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ[الزخرف:٦١] وكلام الشيخ الشنقيطي السابق جاء عند تفسيره لهذه الآية.

(70) من "أضواء البيان" (7/131-137) مختصراً.

(71) محمد بن عبد الملك بن محمد بن عمر الكرجي. أبو الحسن. عالم فقيه، محدث شاعر أديب، توفي سنة (532هـ). انظر: "طبقات الشافعية" (6/137) ، "شذرات الذهب" (4/100) نقلا ً عن "بيان تلبيس الجهمية" (6/398) حاشية (6).

وعددتموه من الأباطيل، فما قولكم في تأويل السلف؟ وما وجهه، نحو ما يروى عن ابن عباس في معنى {استوى} أي: استقر، وما رويتم عن سفيان في قوله {وهو معكم} قال علمه.

الجواب: قلنا لعلتين، لا ثالث لهما ... إن كان السلف صحابياً، فتأويله مقبول متبع، لأنه شاهدا الوحي والتنزيل، وعرف التفسير والتأويل ... وإذا تقرر أن تأويل الصحابة مقبول، فتأويل ابن عباس أولى بالاتباع والقبول ...

فأما إذا لم يكن السلف صحابياً، نظرنا في تأويله، فإن تابعه عليه الأئمة المشهورون، من نقلة الحديث والسنة، ووافقه الثقاة الأثبات: تابعناه، وقبلناه، ووافقناه، فإنه وإن لم يكن إجماعاً حقيقة إلا أن فيه مشابهة الإجماع ...

فأما تأويل من لم يتابعه عليه الأئمة فغير مقبول، وإن صدر ذلك التأويل عن إمام معروف غير مجهول ...

وأما قول سفيان في قوله تعالى: {وهو معكم أينما كنتم} وقوله: {إلا هو رابعهم} أنه: علمه، وكذلك قوله: {ونحن أقرب إليه من حبل الوريد} أنه علمه:

فاعلم أن هذا في الحقيقة ليس بتأويل، بل هو المفهوم من خطاب الأعلى مع الأدنى، فإن في وضع اللغة إذا صدر مثل هذه اللفظة من السادة مع العبيد لا يفهم إلا التقريب والهداية والإعانة والرعاية ...

فإن قيل: فهلا جوزتم التأويل على الإطلاق، اعتباراً بتأويل السلف ؟ قلنا : معاذ الله أن يجوز ذلك! إذ ليس الأصول تتلقى من الرأي، حتى يقاس عليه، ويقال: لما جاز للسلف التأويل جاز للخلف، فإنا قد بينا أن تأويل السلف إن صدر من الصحابة فهو مقبول، لأنهم سمعوه من الرسول، وإن صدر من غيرهم وتابعهم عليه الأئمة قبلناه، وإن تفرد نبذناه، وأعرضنا عنه، إعراضنا عن تأويل الخلف))[72].

ونصل بهذا إلى خاتمة البحث، والحمد لله رب العالمين.

---

(72) باختصار من "بيان تلبيس الجهمية" (6/398-409). تحقيق: د. عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى. نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

الخاتمة

بانتهائي من دراسة هذا البحث، فقد ظهرت لي النتائج التالية:

أهم النتائج:

1- أن معنى وفاة عيسى المذكور في الآيات هو النوم أو القبض.

2- عدم دلالة الآيات على أن عيسى مات كما يموت غيره من البشر.

3- اتفاق معنى وفاة عيسى مع النصوص الأخرى من الكتاب و السنة بخصوص عيسى .

4- تأكيد نصوص القرآن والسنة على بطلان عقيدة النصارى في عيسى .

5- أن نفي نصوص الشرع لصلب المسيح وإثبات رفعه حياً هو الحق الذي تنشرح له الصدور، وتطمئن إليه النفوس، خاصة من المهتدين من النصارى.

6- أن صرف اللفظ عن ظاهره لوجود القرائن الصحيحة إن صدر من صحابي فمقبول، وإن صدر ممن بعده وتابعه عليه الأئمة فمقبول كذلك.

7- التأويل الصحيح بمعنى التفسير: متفق مع اللغة، بخلاف تأويل المتكلمين، فاللغة تدل على بطلانه.

8- أن الحجج العقلية تتفق مع النصوص الشرعية، فالعقل موافق للنقل.

وأهم التوصيات التي أوصي بها:

1- الاعتناء بدراسة أسانيد التفسير المنسوب إلى الصحابة، وبيان ثبوته من عدمه؛ لأنه من قبيل المرفوع ، على قول لبعض أهل العلم.

2- وجوب البلاغ عن الله ورسوله، ومن هذا: إظهار تقرير النصوص الشرعية بخصوص عيسى في مختلف الجوانب: حمل أمه به، ولادته، معجزاته، رفعه، نزوله آخر الزمان ... وهذا من أهم أساليب دعوة النصارى إلى الإسلام.

3- أهمية التصريح ببطلان معتقد النصارى في المسيح .

هذا، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله

وصحبه.

قائمة المصادر

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمد الأمين الشنقيطي. دار الفكر. 1415هـ.
- بحر العلوم. نصر بن محمد السمرقندي. (ت367هـ). دار الفكر.
- بيان تلبيس الجهمية. أحمد بن عبد السلام بن تيمية. تحقيق: د. عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى. نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- تاريخ بغداد. أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي . دار الكتب العلمية . بيروت.
- التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة. الدكتورة سارة بنت حامد العبادي. مكتبة الرشد. ط2. (1426هـ).
- التعاريف. محمد بن عبد الرؤوف المناوي (ت1031هـ) دار الفكر المعاصر. بيروت. ط1. (1410هـ) تحقيق: د.محمد رضوان الداية.
- تفسير ابن أبي حاتم. عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي. (ت 327هـ). المكتبة العصرية. صيدا. تحقيق: أسعد محمد الطيب.
- تفسير البحر المحيط. محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت745هـ). دار الكتب العلمية.
- تفسير الثعلبي. أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري. (ت 427هـ). دار إحياء التراث العربي
- تفسير السلمي. محمد بن الحسين السلمي. (ت 412هـ). دار الكتب العلمية
- تفسير القرآن العزيز. لأبي عبد الله بن أبي زمنين. (ت 399هـ). دار الفاروق الحديثة
- تفسير القرآن العظيم. إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. (ت 774هـ). دار الفكر. بيروت. (1401هـ).
- تفسير القرآن. عبد الرزاق بن همام الصنعاني. (ت 211هـ). مكتبة الرشد
- تفسير مقاتل بن سليمان. لمقاتل بن سليمان الأزدي. (ت 150هـ). دار الكتب العلمية
- تقريب التهذيب. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. دار الرشيد. سوريا. (1406) ط1. تحقيق: محمد عوامة.
- تهذيب التهذيب. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. دار الكفر . بيروت. (1404) ط1.

- الثقات. محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي. دار الفكر (1395) ط1. تحقيق السيد شرف الدين أحمد.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ). دار المعارف بمصر. ط2. تحقيق: محمود محمد شاكر، وخرج أحاديثه: أحمد محمد شاكر.
- جامع التحصيل. أبو سعيد بن خليل بن كيكلدي أبو سعيد العلائي. عالم الكتب. بيروت. (1407) ط2. تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي.
- الجامع لأحكام القرآن. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. (ت 671هـ). دار الشعب
- الجرح والتعديل. عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي. دار إحياء التراث. بيروت. (1271) ط1.
- جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف. عبد العزيز بن صالح الطويان. نشر مكتبة العبيكان. ط1.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن. عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت875هـ). مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور. جلال الدين السيوطي. دار الفكر. بيروت. (1993).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. محمود الألوسي (ت 1270هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت
- زاد المسير. عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي . (ت 597هـ). المكتب الإسلامي . بيروت. (1404هـ) ط 3.
- الزاهر. لمحمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي. (ت 370هـ). نشر وزارة الأوقاف بالكويت. (1399هـ) ط1. تحقيق د.محمد بن جبر الأمين
- سير أعلام النبلاء. محمد بن أحمد الذهبي. مؤسسة الرسالة. بيروت. (1413هـ). ط9. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي
- شرح قطر الندى وبل الصدى ومعه "سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى" محمد محيى الدين عبد الحميد. المكتبة الفيصلية. مكة المكرمة
- الضعفاء الكبير أو ضعفاء العقيلي. أبو جعفر محمد بن عمر العقيلي. دار المكبة العلمية . بيروت.(1404) ط1. تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي.
- ضياء السالك إلى أوضح المسالك. محمد عبد العزيز النجار. مكتبة العلوم و الحكم. المدينة المنورة
- فتح المغيث. أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن السخاوي. مكتبة نزار مصطفى الباز.ط2

- الكاشف. محمد بن أحمد أبو عبد الله الذهبي. دار القبلة للثقافة. جدة. (1413-1992).ط1. تحقيق: محمد عوامة.
- الكامل في في ضعفاء الرجال. عبد الله بن عدي بن عبد اله الجرجاني. دار الفكر. بيروت (1409) ط3. تحقيق: يحيى مختار غزاوي.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- لسان العرب. محمد بن مكرم بن منظور (ت 711هـ) دار صادر. بيروت. ط1.
- المجروحين. أبو حاتم محمد بن حبان البستي. دار الوعي. حلب/ تحقيق: محمود إبراهيم زايد.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت 546هـ). دار الكتب العلمية
- مختار الصحاح. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت 721هـ) نشر مكتبة لبنان. (1415هـ). تحقيق محمود خاطر.
- مشاهير علماء الأمصار. محمد بن حبان أحمد أبو حاتم التميمي البستي. دار الكتب العلمية. بيروت. (1959).
- معالم التنزيل. الحسين بن مسعود البغوي. (ت 516هـ). تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة، سليمان مسلم الحرش، نشر: دار طيبة . ط4. (1417هـ) .
- معاني القرآن الكريم. محمد بن أحمد النحاس. (ت 338هـ). نشر: جامعة أم القرى. ط1. (1409هـ). تحقيق: محمد علي الصابوني
- معرفة الثقات. أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي الكوفي. مكتبة الدار. المدينة المنورة. (1405) ط1. تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي.
- مفاتح الغيب. محمد بن عمر الرازي (ت 604هـ). دار الكتب العلمية.
- النهاية في غريب الأثر. أبو السعادات المبارك بن الجزري. (ت 606هـ). المكتبة العلمية. بيروت. (1399هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي.

فهرس البحث